مدة محاربة الكهتاس كما ادعى لذاته كثيرًا من آثار اجداده الاولين

والخلاصة ان الحكم في تاريخ قلعة الحصن صعب جدًّا وهي مسئلة من اوفر المسائل اشكالاً ونؤمل ان سيكون يوم يكشف فيه عارفو الآثار اللثام عن محيًّا هذه المسئلة التاريخية ويظهر الزمان ما كنّ في بطون الارض منذ طويل

صنائع دمشق

لجناب نعمان افندي قساطلي

رُجِدت الصنائع في دمشق منذ زمان طويل واعتنى بها الدماشقة فافلحوا وحُسِبت مدينتهم من الطراز الاول بين مدن الصنائع الشرقية حتى صار اسمها علمًا لبعض المصنوعات المتقنة كما ستري. ثم سقاها الزمان كما سقى غيرها من مدن المشرق وتناوبتها النكبات فامست وليس لها من صنائعها الكثيرة الاّ اثر بعد عين لان قسمًا منها هاجرها والتى رحلة في بلاد الافرنج كصنعة الوشي المسمّى عندهم دمستو الى الآن. وقسم ركب طريق الفارطين كصنعة السيوف الدمشقية التي فقدت منها منذ تغلب تيمور عليها. وصنعة القيشاني التي فقدت في القرن الماضي لانحصار عملها في قوم افناهم الزمان فنسيت معهم ولم تزل مصنوعاتهم الى الآن شاهدة بذكائهم وحسن اتقانهم لها. وصنعة دهان البيوت وقد فقدت ايضًا في اواخر القرن الماضي واوائل الحاضر ولم تزل اثارها في بيوت كثيرة من المدينة وقد مرّ على بعضها نيف وثلاث مئة سنة ولم تزل برونقها كانها عملت امس وفقدت ايضًا غير ذلك كثير من الحرف ما لا يجدي تعدادهُ الاّ الاسف

اما القسم الباقي فيكاد يكفي الدماشقة ويغنيهم عن غيرهم اذا سعوا في اتقانه وترويجه. ويقسم الى خمس حرف اولها النسج وهو اهم عندهم لكثرة العاملين فيه ولانهُ محور اعمال المدينة ومصدر تجارتها وثانيها الدباغة وثالثها الصياغة والحدادة ورابعها البناء ومتعلقاته وخامسها الخياطة ولكلٍّ منها فروع كثيرة

ولا نقدر ان نعيّن وقت دخول هذه الصنائع الى دمشق على اننا نرجح انها كانت قبل الاسلام وان المسلمين اخذوها عن سكان المدينة الاصليين ونستنتج هذا من بعض الادلة التاريخية منها ان العرب وجدوا فيها كثيرًا من الصنائع المتقنة وقت الفتح وكانت مصنوعاتها في غاية الاتقان ايام الدولة الاموية وهي اول دولة اسلامية قامت في دمشق. ومنها ان كثيرًا من صنائع الدماشقة كالصباغة والبناء واهم فروع النسج لم يزل منحصرًا في الامة المسيحية. هذا ولا يمكننا الاّ ان نقول ان العرب قد حسّنوا اكثر صنائع دمشق وادخلوا بعضها جديدًا فمن ذلك عمل القيشاني الذي لا يوجد منهُ ما

هو مصنوع منذ اكثر من ست مئة سنة فلا مراء انهُ من مخترعات العرب. على ان البعض حاولوا نسبة اختراعهِ الى غيرهم وقالوا ان الروم عملوا ما يشبههُ وهو الفسيفساء البلورية الموجودة في الجامع الاموي وفي كنيسة بيت لحم الكبيرة وفي قبة الحرم الاقصى بالقدس الشريف. وذلك مردود لان بين الفسيفساء والفيشاني بونًا عظيمًا في الجوهر والصنعة وما زالت صنائع دمشق تزداد حسنًا وانتشارًا الى ان فتحها تيمور الغاتلك في ربيع الآخر سنة ٨٠٣ هجرية فامَّن اهلها وقبلَ ما قدموهُ لهُ من نفائس الهدايا ممَّا يصنع في مدينتهم ثم نكث ايمانهُ بعد عهدهِ واطلق العنان لرجالهِ فنهبوا المدينة وعثوا فيها وافسدوا في اهلها واضرموا النار في ارجائها. اما الصنائع فكانت مصيبتها مضاعفة لانهُ لم يكتفِ بما لحقها من الضرر بخراب المدينة بل اختار كل من كان ذا شهرة فيها واخذهُ معهُ لمَّا قام عنها. وقد ذكر ذلك جماعة من المؤرخين. منهم صاحب كتاب عجائب المقدور اذ يقول «وبعد ان امست النار تلعب بانحاء المدينة وتهلك ابنيتها الحسنة الجميلة سار تيمور عنها يوم السبت في ٣ شعبان سنة ٨٠٣ قاصدًا الجهة الشمالية التي منها الى وقد اجلى معهُ بعض الاعيان واصحاب الفضل وكل ماهر بفن من النساجين والخياطين والذين يصنعون السيوف البواتر من اشتهرت بهم دمشق» . وبما ان تيمور اجلى احذق العملة اقتصر الصنَّاع بعدهم على التقليد وكانت صنائعهم تحفظ جودة وقيمة بتوالي الزمان ولكنها بقيت في المرتبة الاولى بالنسبة الى صنائع سورية

اما صنعة النسج فحافظوا عليها كل المحافظة لشدة لزومها وكثرة دخلها واتساع متجرها ولا سيما في الايام السالفة قبل ان انتشرت البضائع الافرنجية في بلادنا. وبقيت صناعة نسج الحرير على غاية الاتقان مع انهُ لم يحصل تحسين في آلاتها وسبب ذلك انحصارها في الامة المسيحية التي لا املاك لها بل تتعيش من صنائعها ورخص الحرير في الايام السالفة واقتصار الاهالي على استعمال منسوجاتهم

اما الآن فقد نكبت صنائع دمشق اعظم نكبة ولا سيما صنعة النسج لسبب غلاء الحرير وكثرة انتشار البضائع الافرنجية مع عدم متانتها . وهذا ممَّا دعا الحاذق السيد عبد المجيد الاصفر ان يقلد الالاجه بالغزل ليتمكن ابناء الوطن من استعمالهِ ولضيق ذات يدهِ انضم الى السيد حسن الخانجي فامدَّهُ وبعد الجهد نال مرادهُ وراج عمله بين الخاص والعام واقتدى بهِ بعض العملة وزادوا عملة اتقانًا فاضحى نسج الديما صنعة مهمة يتعيش بها الوف. ومنذ نحو عشرين سنة استنبط رجل من بيت مرتضى شكلاً جديدًا منقوشًا نقشًا جميلاً فراج كثيرًا ثم تبعهُ السيد درويش الروماني وقلَّد الفلاووظ الافرنجي المعرَّق بمساعدة الخواجه جرجي ماشطه على ان النساء ابينَ لبسهُ لانهُ غير مشرف بوسام افرنجي فعدل عن عملهِ . ومنذ اربعة اشهر راى الحاذق الخواجه يوسف الخوام انصباب القوم على لبس البنطلون واحتياجهم الى نسيج خفيف يناسب الصيف فغيَّر وزاد في نول الديما والى نسج احسن

من النسج الافرنجية وارخص فنال ثناء الجميع ولو اهتم جميع الصناع اهتمامه في اصلاح صنائعهم لفازوا فوزه واغنوا البلاد عن النسج الافرنجية في برهة قليلة

اما انوال النسج فقد قل عددها في وقتنا الحاضر عما كان في بداءة هذا الجيل وما بقي منها فهو

عدد الانوال	
١٦٠٠	الاجه
٠٦٥٠	قطني
٣٣٠٠	ديما
٠١٥٠	شالات حرير وشالات غزل
٠٣٥٠	كنيات حرير وكنيات غزل
٠٠٥٠	زنار طرابلسي حرير وزنار طرابلسي غزل
٠٠٥٠	فوط وملاية حرير وغزل وبوشيه الخ
٠٣٠٠	كريشه وهرمزي وسلطانية
٥٣٥٠	مجتمع الانوال

وهذه الانوال مع ما يتعلق بها كافية لتشغيل ستة عشر الف نسمة وسنبين ذلك في رسائلنا التابعة ان شاء الله وفي نيتنا ان نقدم لكم بعض التفاصيل عن صنعة النسج وآلاتها واصبغتها وكل ما يتعلق بها وعلى الله الاتكال

النسج الافرنجية

ادرجنا في هذا الجزء مقالة نفيسة لجناب نعمان افندي قساطلي في صنائع دمشق وفيها كلام وجيز على ان النسج الشامية امتن من الافرنجية وفيما نحن مفتكرون في تذييلها وتنبيهنا التنا جريدة انكليزية كيلوبة تحسب من اصدق جرائدهم واكثرها عناية عنهم وفيها كلام طويل بشان نسج اوربا وطرق الغش المستنبطة حديثًا لتثقيلها وتلبيسها بغيرها فاقتطفنا منها الكلام الآتي

بين اغنيائنا الكبار قوم يوصفون بالعفة والاستقامة وعمل الخير ولكنهم مشتركون في حيل واخاديع يعافها سفلة الناس فهم لصوص ولغناهم لصوص وان سالتهم التوا اللوم على صنّاعهم . وخلاصة القول ان الصباغين ينهبون مالنا اغنيا لا لانفعتهم بل لمنفعة مستخدميهم كما ترى . عندما يترع الصبغ من الحرير (الخام) يخسر الحرير ربع وزنه وذلك امرٌ طبيعي لا مفرّ منه الا ان اصحابه يجبرون الصباغين على ارجاعه كما كان وزنًا فيضطر هؤلاء الى ان يلصقوا به ما يفيه في وزنه واذ